في ندوة أقامتها دائرة الفنون التشكيلية

محمود صبري وواقعية الكم

افرام شوقي

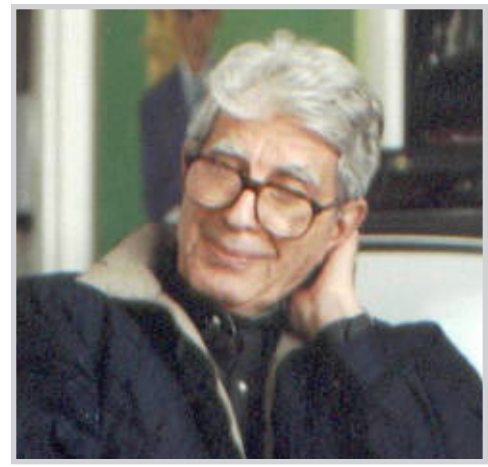

نظمت دائرة الفنون التشكيلية في وزارة الثقافة ندوة بعنوان(تحية الى محمود صبري)فنان الحياة والمستقبل ،قدمها لجمهور من المهتمين ومتابعي الفن التشكيلي العراقي الشاعر صادق الصائغ والتشكيلي سعدي الطائي وجواد الزيدي ،أدار الندوة الفنان سعد نعمة مدير مركز الدراسات التشكيلية .

دائرة الفنون اعدت ملصقا عن المحتفى به وزع بين الحاضرين ضمنته كلمة عن الفنان قالت فيها (ان لمحمود صبري الفنان الرائد الذي نحتفي به اليوم منجزاً إبداعياً متجدداً وبصماته المتمثلة بأشتغالات تعبيرية صارخة وواضحة المعالم في سياق حركتنا التشكيلية منذ أوائل خمسينيات القرن الماضي ..وفي تلك الحقبة المبكرة الخصبة بالمخاضات الفنية عكست اعمال محمود صبري حساسية مفرطة ازاء قضايا المجتمع والأنسان جسدتها لوحات مثل ملحمة الجزائر والشهيد وسواها،وفي نظريته المعروفة (واقعية الكم)التي كرس لها معرضه الشخصي في براغ١٩٧١افترض نهاية للتجربة البصرية والمنجز الجمالي الذي تواترمنذ بدايات الإنسان الأولى مرورا بفن عصر النهضة، وان هذا الأحتفاء بمحمود صبري الذي انهى العقد الثامن من حياة حافلة بالمعرفة والإبداع هو اشارة اعتراف برمز من رموز الحركة التشكيلية في بلدنا ودعوة لضم مجموعة من اعماله الى مجموعتنا المتحفية وهو تحية له من العراق الذي هاجره وظل حاضرا فيه بإسهاماته الثرة.وعبر الناقد عادل كامل عن رأيه بالفنان محمود صبري والذي ضمنه كتابه(الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق) "ان كتابات الفنان النقدية التي ترجع الى مرحلة التأسيس عبرت عن رؤيته وموقفه الفكري لمعنى الفن ولدور الفنان باسلوب استنار بالتراث غير المباشر كما استجاب للاتجاهات التقدمية في الفن الأوربي،وانه استطاع ان يشكل اتجاها متميزاً في الفن المعاصر في العراق.اما الناقدة بديعة امين فقالت " ان واقعية الكم ستظل مساهمة طموحة وجريئة لها مكانتها في ميدان الفنون التشكيلية والتي توصل فيها الى معادلات أكثر دقة واقرب الى الخيال، وان اية محاولة مخلصة كواقعية الكم لابد من ان تصل في وقت من الأوقات الى ماتريد وتتخلص مما بها من سبات.

في كلمته الافتتاحية في الندوة قال الشاعر صادق الصائغ"يعتقد كثير من الناس ان الإنسان هو مركز الكون الا ان محمود صبري قلب المعادلة ونزل بقناعات المفكرين الى إيجاد معادلات صغيرة وحولها الى لوحات يلهج بصدق تشكلها في وعيه ،محمود صبري واحد من جيل استنفد البحث عن معادلة تشكيلي لفلسفات وجودية كبرى ففي تأريخ التشكيل العراقي المعاصر ،يشكل كل من جواد سليم وشاكر حسن ال سعيد ومحمود صبري ضلعا من ضلوع مثلث ذهبي ، تجسدت في أطاره اولى محاولات الأتصال بحركات التحديث وسجلت محاولات الثلاثة،على مستوى محلي التغيير الأول في خارطة رسم الشكل الطبيعي معتمدة على الحدس والأنطباع والتخمين وسرعان مااصبحت هذه المحاولات مركزاً لاتجاهات تحديثية تجمع حولها حشد من التلاميذ تبنوا الأتجاه نفسه وأستولدوا فيما بعد انماطا تجريبية جديدة تشبع رغائبهم ورغائب الأجيال اللاحقة،ويمكن ملاحظة ان محمود منذ بدايته الأولى كان اكثر اهتماما بشواغل الفلسفة والهم الأجتماعي وستأخذ هذه الشواغل مكان الصدارة في لوحاته ُوحسب اطروحته في واقعية الكم فان مفاهيم الفنون المتوارثة ابتداء من الكهوف وانتهاء بأخر مدرسة فنية معاصرة ،ستتراجع امام الأكتشافات التي حققتها علوم الذرة وكان استنتاجه الأساسي هو ان العلم وحده يكشف الماوراء وهذا يعني ان الفن الجديد سيقطع علاقته بما خزنته الذات من معارف حول الأنسان والطبيعة، ومن المؤسف ان القواعد والأصول التي اعتمدها محمود في بناء لوحاته لم تعد متوفرة الآن ، لقد ضيعتها الأحداث التي تلت احداث ٢٠٠٣وكانت كارثة نهب المتاحف من اكبر خسائرنا الثقافية وللأسف ايضا فان لوحتي محمود اللتين ضمهما المتحف سرقتا ايضا.

اما الفنان سعدي الطائي فقد تحدث في كلمته عن محمود صبري قائلا"لدي ملاحظات على عمل هذا الفنان وقد أكون قاسياً على زميلي وصديقي الذي عرفته في بداية الستينيات عندما كنا أعضاء في الهيئة الإدارية لجمعية الفنانين العراقيين وكان طيب الخلق والقلب ومحبوبا بين زملائه ومخلصا في عمله اما نظريته التي أثيرت اليوم فدعوني أتساءل(كم من طلبتنا في أكاديمية ومعاهد الفنون الجميلة يذكر نظرية الكم عندما يذكر محمود صبري؟ محمود عرف بأعماله الستينية والخمسينية أما نظريته فأنها فقط للجدل والمناقشة .وقارن الطائي بين نظرية محمود وبين النظريات التي جاء بها التكعيبيون والسرياليون والتي استمرت لحد الآن في حين بقيت نظرية الكم محدودة التأثير.

وقدم الدكتور جواد الزيدي كلمة عن الفنان المحتفى به قال فيها "اعتقد اننا يجب ان نقف باحترام أمام تجربة محمود التي شكلت ملامح المنجز الفني العراقي واعد محمود صبري وشاكر حسن ال سعيد هما المنظران الوحيدان في التشكيلية العراقية وليس معيبا ان ينظر الفنان لتجربته ،فكم من المنجز الفني العراقي منذ اربعينيات القرن الماضي وحتى الآن يقع في خانة الحداثة الفنية.

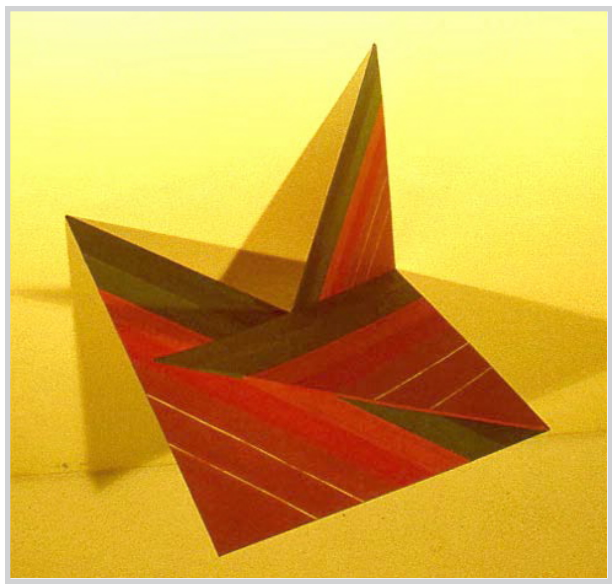

روسيل بانكس : أحد النبلاء الغاضبين

ثيرثانكر شاندا

ترجمة د.سندس فوزي فرمان

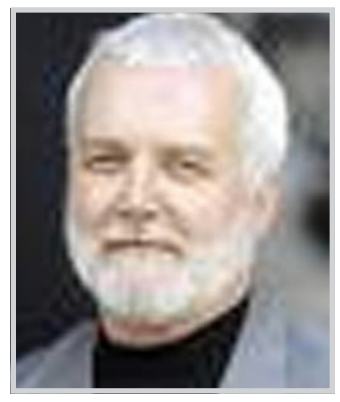

روسيل بانكس

١١ رواية و٥ مجموعات قصص قصيرة استطاع روسيل أن يرسم لوحة مؤثرة عن أميركا المعاصرة ؛ أميركا المصابة بعلل كثيرة فمن اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية إلى الحروب الإمبريالية. قصص روسيل تتكلم عن المنسيين في هذا الثراء الأمريكي كما إنها تنتقد بشدة المتنفذين والنفعيين. ولد روسيل في ١٩٤٠ من عائلة عمالية فقيرة إلا إن روسيل وصل إلى مصاف كتاب الدرجة الأولى في بلده وذلك بفضل قوة إرادته وقوة مخيلته. التناقض هنا هو إن نجاح روسيل الاجتماعي والمادي يجسد تحديدا ذلك الحلم الأمريكي الذي يعمل الكاتب على فضح خلله وأمراضه.

"كتابة الروايات هي الوسيلة في مواجهة الغموض والأسرار" بهذه الكلمات بدا الروائي الأمريكي روسيل بانكس حواره معنا. أثناء وجوده في باريس وذلك بمناسبة صدور الترجمة الفرنسية لروايته السادسة عشر والتي تحمل عنوان "المحمية". يقارب عمر بانكس السبعون عاما ويذكرك محياه بنبلاء روما المرحين إلا إن التمرد واضح عليه وتكشف عنه حبة الماس التي تتوهج على أذنه.

أثناء قراءته المؤثرة لمقاطع من تلك الرواية في أحد مسارح باريس الكبيرة تمهل كثيرا على الموضوع الرئيسي للرواية ألا وهو لقاء البطل مع "المرأة اللعنة" في الثلاثينات من القرن الماضي. إلا إن المجتمع الأمريكي هو بلا شك الموضوع الأساس واللغز الرئيسي في هذه الرواية ؛ ذلك المجتمع المستقطب بشكل مؤلم بين أغنياء وفقراء وبين متنفذين وهامشيين. يجعل بانكس من هذا الاستقطاب مادة كتابه الملتزم والمثير للشفقة. حيث يراقب الكاتب هذا المجتمع وللمرة الأولى في رواياته من جانب الأثرياء الذين نراهم هم أيضا غارقين بأسرارهم المخزية والتي لا يمكن البوح بها.

تجري أحداث روايته "المحمية" على شواطيء بحيرة أديرونداكس الواقعة في ولاية نيويورك وذلك في أحضان طبيعة رائعة وبكر يمتلكها بعض "القلة من السعداء". هذا المكان الممتد على عدة آلاف من الهكتارات هو "المحمية" المسماة بهذا الاسم والتي تعيش فيها عائلة كولي الفاحشة الثراء ومعها بضع عوائل أخرى من الطبقة البرجوازية الكبيرة في الضفة الشرقية لأميركا. تعيش العائلة كولي في فيلا فخمة جدا. ونحن في صيف عام ,١٩٣٦ تبدأ الرواية بحفل كبير تقيمه العائلة كولي بمناسبة عيد الاستقلال. يضطرب هدوء المكان بالحضور الصاخب لأحد المدعوين وهو جوردان كروفز حيث يصل على متن طائرته المائية الصاخبة. جوردان فنان غني ومشهور ومعروف بمواقفه اليسارية وبمجرد وصوله أثار الاضطراب لدى مضيفيه وكان وجوده سببا في زيادة تفرقهم.

تحدثنا زوجة كروفز عنه فيما بعد قائلة : "كان يتمنى أن يكون ما هو عليه الآن ؛ ذلك الفنان الشهير جوردان كروفز ولكنه أيضا (...) كان يتمنى أن يكون واحدا من أولئك المظلومين ؛ أولئك الضحايا الذين يسحقهم الأغنياء والمتنفذين بأقدامهم (...) ؛ كان يريد أن يكون واحدا منهم. كان يغبطهم لأنهم بلا نفوذ. الحرمان من النفوذ هذا كان دليلا في نظره على البراءة التي تخلى عنها منذ وقت طويل ؛ منذ عودته من الحرب حين رفض أن يعمل إلى جانب والده النجار وترك زوجته ورحل باتجاه الشرق.. إلى نيويورك...كي يصبح فنانا". هذه الصورة هي ذاتها صورة روسيل بانكس فهو كبطله جوردان كروفز صورة شاخصة عن النجاح الشاخص للحلم الأمريكي.

يوضح بانكس قائلا : "لو لم أصبح كاتبا لانتهيت في سن مبكر في أحدى الكراجات أو البارات في فلوريدا". ونراه يعود دوما إلى الحياة مع المخدرات والكحول والعنف ؛ تلك الحياة التي كان يعيشها خلال أعوام السبعينات والتي بدأ فيها الكتابة وشجعه على ذلك نيلسون الغرين الذي قرأ نصوصه الأولى. ساعدت الكتابة روسيل أن يلتزم بالنظام وبمنهج محدد وبأن يفهم وينظم الفوضى المستفحلة في حياته الخاصة وذلك من خلال الخيال الذي يعود وبشكل تسلطي إلى الجروح العميقة في حياته ألا وهي العنف العائلي وغياب الأب وقسوة الحياة اليومية.

تجتاز هذه الثيمات كل أعمال روسيل بانكس المليئة بالشخوص الهامشيين وغير المرغوب بهم والمقصيين عن الحلم الأمريكي. أما النماذج التي اقتدى بها روسيل بانكس فهم والت وايتمان، جاك كيرواك، ونيلسون الغرين. وفي حديث قريب مع صحفية كندية قال "الأمريكي" شارحا : " لم أتصور مطلقا إنني يمكن أن أصبح كاتبا حتى قرأت كتاب كيرواك "على الطريق" فماضيه وسوابقه كانت شبيهه لماضي وسوابقي.

يرسم بانكس الظلم الاجتماعي الذي حول الحلم الأمريكي إلى كابوس بالنسبة لعدد كبير من مواطنيه ويحلل في رواياته الأولى كيف إن الطبقة والعرق تشكل المجتمع الأمريكي. كما إنه أهتم عن كثب بالنتائج الإنسانية والجغرافية-السياسية للإمبريالية الأمريكية وخصوصا في أفريقيا وجزر الأنتيل ؛ حيث يضع في أعماله ما يسميه "بالقطبية الثنائية" الرمزية ويسبر غور علاقات الهيمنة وسوء الفهم التي تمارسها أمريكا مع هذا الآخر البعيد ومع ذلك فإنه قريب جداً.

روايته الجميلة جدا "قارات سائرة على غير هدى" والتي اختيرت لجائزة بوليتزر الفخمة وذلك عندما نشرت الرواية في الولايات المتحدة في ١٩٨٦ وتتناول هذه الرواية عالم المهربين ولاجئوا الزوارق الهاييتيين. ومن خلال القدر الذي يربط مهرب أبيض ولاجئة هاييتية هاربة من البؤس في جزيرتها وتحاول أن تعيد بناء حياتها من جديد ؛ ومن خلال هذا القدر يحاول بانكس يتناول السياسة العرقية الضمنية لكل التاريخ الأمريكي منذ عام ١٤٩٢ بحسب بانكس.

أما أشهر رواياته التي تحمل طابعه المتميز فهي بلا شك روايته "الحبيبة الأمريكية" (٢٠٠٥) والتي تقع أحداثها بين ليبيريا والولايات المتحدة. من خلال مسار امرأة شابة ناشطة في حركات المعارضة لأعوام الستينات يكشف هذا الكتاب دواليب وغموض السياسة الخارجية. يدرج هذا الاهتمام المستمر لبانكس إزاء العالم الثالث والدول المدارية ضمن نفس المنطق العام لأعماله ألا وهو إنها أعمال ملتزمة جدا تكشف عن الشروخ الاجتماعية في بلده وفي عصره وذلك ضمن نفس تقاليد كبار الروائيين الأمريكيين أمثال دوس باسوس، ستاينبك، فوكنر.

يحتفى اليوم ببانكس باعتباره واحدا من الكتاب الرئيسين في جيله وهو معروف في العالم بأسره بفضل ترجمة كتبه إلى عشرين لغة وكذلك بفضل تحويل العديد من رواياته إلى أفلام سينمائية ("شجن" ؛ "أيام جميلة قادمة" وغيرها). يعد روسيل بانكس جزء من المؤسسة الأدبية في بلده فهو عضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب وهو أستاذ "الكتابة المبدعة" في الجامعات الرفيعة المستوى مثل جامعة برنستون وجامعة كولومبيا وأخيرا وليس آخرا رئيس مؤسس لشبكة مدن شمال أميركا التي تساعد سنويا في منح اللجوء واستقبال الكتاب المهددين في دولهم.

دوريات

ملف الهجرة في العدد الجديد من مجلة إضافات

مازن لطيف

تناول العدد الثاني من مجلة إضافات "اكاديمية فصلية محكمة " الصادرة عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع ملف الهجرة اسبابها وتنوعها وما تفرزه من آثار في المجتمعات ، فقد تناول غسان الحاج أستاذ الانثروبولوجيا والنظرية الاجتماعية في جامعة ملبورن موضوع الهجرة ودور الذاكرة والطعام في عملية انشاء موطن حيث يقول ان هناك علاقة تربط بين البيت والطعام وتتجلى السلطة الايديولوجية لهذه العلاقة في العديد من شؤون الحياة اليومية ، يستنتج غسان الحاج في دراسته بتأكيده لفكرة تمفصل ذكريات المهاجر التي تتمحور حول مفهوم " هناك في الوطن " بعملية إنشاء الموطن التي ينشغل بها المهاجرون باعتبارها جزءاً من عملية الاستقرار في البيت الجديد. ويقدم بول طبر بحثه عن (اللبنانيون والجريمة الإثنية في سيدني) الأبعاد الاقتصادية - الاجتماعية ، ثقافية وفضائية بعد ان استقبلت سيدني غالية المهاجرين اللبنانيين .. وتناول ستيورات هول الباحث في الدراسات الثقافية دراسته حول " الهوية الثقافية " باحثاً في الاسئلة المتعلقة بالهوية الثقافية والنظر الى مسألة وجود " أزمة الهويات " والعناصر التي تتكون منها وليهود العراق ومذكراتهم في بغداد كتبت الباحثة ألين شليبفر الباحثة السويسرية في جامعة جنيف التي تواصل دراستها عن اليهود في العراق فقد كتبت عن هويات اليهود العراقيين وفقاً لمذكرات يهود بغداديين فقد قارنت بين جيلين من الكتاب الجيل القدامي من اليهود الذين مثلتهم بمذكرات كاتبين هما أنور شاؤول ومير بصري مع جيل الشباب الذين مثلتهم بكاتبين ايضاً هما نعيم قطان وحزقيال حداد حيث لكل جيل رؤيته السياسية والاجتماعية والفكرية وفي علاقتهما بوطنهما العراق ، وحاولت الباحثة ان تظهر بعض الجوانب المتناقضة بين الافراد داخل الطائفة اليهودية حيث استند الى الفهم الفردي لهؤلاء الكتاب للوطن والاختلاف بين جيلين قريبين احدهما من الاخر.

ملاحظات في الشعر

ريلكه الألماني..فرنسيا

عبدالزهرة زكي

ما الذي يضطر شاعرا ما إلى تجريب الكتابة بلغة أخرى ، غير لغته الأم ؟

قد تبدو كلمة اضطرار غير مناسبة .. حيث يمكن التساؤل عما يغري شاعرا للكتابة ، غير مضطر، بلغة ثانية.

ان تاريخ الأدب يقدم أمثلة كثيرة لشعراء كرسوا عملهم الشعري في ارض لغوية أخرى ، ولآخرين اختاروا العمل والتنقل بين ارضين:اللغة الأم وأخرى سواها .وكانت اغراءات القيمة الحضارية والنفوذ الحضاري والثقافي للغة الثانية هي ما يثير انتباه مؤرخي ودارسي الأدب في تأملهم وتعليلهم مثل هذه التجارب .ولكن الشعر عمل لغوي في جوهره ،ولا يمكن إغفال تأثير أية لغة يؤلف بها الشعر ، بسياقاتها البنائية الداخلية ،من صوت ونحو وصرف ،وبسياقاتها الأخرى من مثل التراكم والخبرات التاريخية ،على عمل الشاعر في لغة ثانية. ولعل الشاعر (عمله الشعري تحديدا) في لغة أخرى هو آخر غير الذي في لغته الأم.فالشعر هو حاصل التجربة / العمل الشخصي من جهة وطبيعة اللغة (بكل محمولاتها)المستخدمة من جهة أخرى.ويعبر عن هذه النتيجة بوضوح الشعراء الفرس ممن كتبوا باللغة العربية إلى جنب لغتهم الأم،كما يعبر عنها الشعراء الفرانكفونيون العرب والأفارقة بالوضوح ذاته.

ولا تبتعد التجربة الفرنسية للألماني ريلكه بعيدا عن هذه المقاربات ولكنها تظل تحتفظ بخصائص تأخذ ميزاتها من الطبيعة الشخصية لتجربة ريلكه في الشعر،كما لا تبتعد عن هذه المقاربات النتائج التي خلص إليها الصديق الشاعر شاكر لعيبي مترجم ريلكه الفرنسي في مقدمته للأعمال الفرنسية الكاملة لريلكه الصادرة مؤخرا عن دار المدى،والتي يبدي معها شاكر لعيبي حرصا للتثبت من "ان شعر ريلكه الفرنسي يمت بصلة وثيقة إلى جوهر أعماله الأساسية المكتوبة بالألمانية".

وتبدو كتابة ريلكه بالفرنسية اختيارا ، بخلاف حال كثير من التجارب الفرانكفونية التي تكون الهجرة اللغوية ، وبالتالي الاغتراب الثقافي ، في معظمها هجرة واغترابا اضطراريين.. لكن ريلكه ، ومثل أوربيين آخرين سواه،لا يخفي افتتانا بالفرنسية وانسحارا بألق نفوذها الثقافي ،وتحديدا الإبداعي.وهو افتتان وصفه الأمريكي دونالد براني مؤلف سيرة ريلكه بالانكليزية "إذعانا لهذه اللغة الرائعة" ،وتعبيرا صريحا عن شعوره "بان الألمانية قد أوصلته إلى القليل فقط من التجريد". بخلاف ما عبر عنه ريلكه نفسه في واحدة من رسائله من ان الفرنسية كانت "أليفة إليه مثلما الألمانية".

نسمح مثل هذه الخصائص النادرة في تاريخ الشعر لشاعر نادر مثل ريلكه ان يكون حرا في التنقل بين مواطن لغوية متعددة ..خصوصا حين يكون وجوده في اللغة الثانية وجودا "أليفا" غير مستوحش

شاعر ألماني آخر عظيم هو غوته يرى "أننا لا نستطيع فعل أمر عظيم في لغة أجنبية". وهذا الإعلان الغوتوي يحيل إلى مسؤولية اللغة وحاضنتها الثقافية القومية في عملية التأليف الأدبي ،وبالأخص الشعري. لكن مثل هذا الإعلان يهمل الطبيعة الشخصية للعمل في الشعر.وتجربة ريلكه تحتفظ بخصائص نادرة تنطوي على أعمق ما تكون عليه الطبيعة الشخصية للشعر.. فالشاعر الذي يقيم في البرزخ اللا مرئي بين الشعر والفلسفة قدم مثالا مدهشا لصورة التفكر في الشعر ، صورة لا يكون فيها الشعر صدى باردا لتفكير الفيلسوف مثلما لا يكون فيها (التفكير) الشعري رغوة بائدة لميوعة الخيال واللغة المبتذلة.

تسمح مثل هذه الخصائص النادرة في تاريخ الشعر لشاعر نادر مثل ريلكه ان يكون حرا في التنقل بين مواطن لغوية متعددة ..خصوصا حين يكون وجوده في اللغة الثانية وجودا "أليفا" غير مستوحش..وستكون تجربة ريلكه الباريسية ومن ثم السويسرية واندماجه ،لغويا، بفرنسا وانهماكه بترجمة اشد التجارب الشعرية الفرنسية صلة بعمل الشعر في اللغة ،تجربة مالارميه وفاليري مثلا، تعبيرا عن استيطانه الحر في اللغة الفرنسية والفته فيها.

مع هذا.. لن يكون الحديث عن تمايز قيمي ما بين ريلكه الألماني وريلكه الفرنسي إلا حديثا عن تمايز من الممكن اقامته في تجربة العمل حتى في داخل إطار لغوي واحد .